

## A postcolonial reading of Hekayah kefaah zed Al\_estemaar based on Edward Said's ideas

Ali Asvadi<sup>1</sup>, Abdollah Hosieni<sup>2</sup>, Zahra Asadollahi<sup>\*3</sup>

### Abstract

The postcolonial discourse addresses the domination of foreigners over Asian and African countries and illustrate how the west colonized and impressed them. One of the most outstanding theorists of postcolonial criticism is Edward Said, who Orientalism addresses differences between East and West and particularly how the latter portrays the former. It holds a particular point in postcolonial studies as it discloses how the west imposes unrealistic images on the east. Natalia Rashid is one of the contemporary Egyptian writer who refers to Gamal Abdel Nasser who described the history of Egypt during British colonialism, in Hakait Kieffah an Decolonisation. This study examines Hakait Kieffah an Decolonisation based on Edward Said's ideas. It particularly studies the role of disloyalty in the establishment of colonialism and the despicable view of British colonialism of Egyptian people. The disloyalty of Egyptians is directly related to the colonization of their country, and its people always lived in terror caused by colonization and were forced to migrate from their homeland.

**Keywords:** Postcolonialism, Edward Said, Egypt, Natila Rashed, Hekayat keffah zed Al-Esteemar.

Received: 04/04/2024

Accepted: 18/12/2024

<sup>1</sup> Associate Associate professor, Department of Arabic Language and Literature, Kharazmi University, Tehran, Iran, Email: Asvadi@knu.ac.ir

<sup>2</sup> Associate professor, Department of Arabic Language and Literature, Kharazmi University, Tehran, Iran, Email: Dr.abd.hosieni@knu.ac

<sup>3</sup> Corresponding Author, Student of Arabic Language and Literature, Kharazmi University, Tehran, Iran, Email: Zahraasadollahi@knu.ac.ir



## فصلية دراسات في السردانية العربية

الرقم الدولي الموحد للطباعة: ٢٦٧٦-٧٧٤٠

الرقم الإلكتروني الدولي الموحد: ٢٧١٧-٠١٧٩



## ما بعد الإستعمار في حكاية كفاح ضد الإستعمار بناء على ضوء نظرية إدوارد سعيد

علي أسودي<sup>١</sup>، عبد الله حسبي<sup>٢</sup>، زهرا أسداللهجي<sup>٣</sup>\*

## الملخص

يسعى خطاب ما بعد الإستعمار إلى الكشف عن السيطرة الشاملة للغربيين على البلدان الآسيوية والإفريقية ويشرح كيفية إستعمار الغرب لهذه البلدان وأثره عليها. ومن أبرز منظري نقد ما بعد الإستعمار هو إدوارد سعيد، الذي قام في كتابه، الإستشراق، بالتحليل التفصيلي للمواجهة بين الشرق والغرب وذكر وتحليل وطريقة تفكير المجتمعات الغربية تجاه الأمم الشرقية. إن دراسة هذه القضية مهمة لأنها تكشف الوجه الرائق الذي رسمه الغربيون لأمم المشرق. نتيجة راشد إحدى الكاتبات المعاصرات المصريات ذوات الفكر السياسي القريب من جمال عبد الناصر التي قامت بشرح تاريخ مصر أثناء الإستعمار البريطاني وقدمت فكرة نقدية لعواقب الإستعمار، مؤلفة كتاب حكاية كفاح ضد الإستعمار في يشكل سيرة عبد الناصر الذاتية الروائية. يحاول هذا البحث بإستخدام الأسلوب الوصفي التحليلي وتطبيق مكونات نقد ما بعد الإستعماري في هذا العمل معتمدا على منهج إدوارد سعيد التقدى؛ وتشير نتائج البحث إلى الدور المهم لخيانة العوامل الداخلية في تكوين الإستعمار البريطاني على مصر وكذلك تشكيل و تقوية النظرة الذرائية والدولية للبريطانيين تجاه الشعب المصري آنذاك و تشير النتائج أيضاً إلى عدم إعتقاد الغربيين بإستقلال الشعب المصري.

٢٠٢٤/١٢/٧: تاريخ المقالة

٢٠٢٤/٣/٥: محمد عاصم

الكلمات الدليلية: نقد ما بعد الإستعمار، إدوارد سعيد، مصر، نتيجة راشد، حكاية كفاح ضد الإستعمار.

<sup>١</sup> أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة خوارزمي، طهران، إيران، البريد الإلكتروني: Asvadi@knu.ac.ir<sup>٢</sup> أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة خوارزمي، طهران، إيران، البريد الإلكتروني: Dr.abd.hosieni@knu.ac<sup>٣</sup> الكاتبة المسئولة، طالبة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة خوارزمي، طهران، إيران، البريد الإلكتروني: Zahraasadallahi@knu.ac.ir

الناشر: © جامعة خوارزمي والجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها.

حقوق التأليف والنشر © المؤلفون



## ١. المقدمة

الأدب كان دائمًا أدأةً رئيسيةً لربط الأحداث التاريخية بالأفكار الاجتماعية، حيث يمكن من خلاله بسهولة تثبيت الأحداث الاجتماعية الناشئة عن الواقع التاريخي في أذهان المثقفين. توجد أشكال متنوعة من الأدب في المجتمعات المختلفة، والتي يُتَّبع من خلالها أعمال أدبية متباعدة. و من بين القضايا التاريخية والإجتماعية التي لطالما أرْهَقَت المجتمعات البشرية وأثارت معاناتها هي ظاهرة الإستعمار. و في هذا السياق، بُرِزَ أدب ما بعد الإستعمار كأحد الأنواع العديدة للأشكال الأدبية، والذي يُستخدم غالباً في الدول التي كانت مستعمرات سابقاً لدول أخرى. ويتمتع هذا النوع من الأدب بمكانة مرموقة بين أفراد تلك المجتمعات.

ظهر الأدب ما بعد الإستعماري في النصف الثاني من القرن العشرين في سياق الدول المستعمرة التي كانت تسعى إلى التحرر من الإستعمار في مجالات الثقافة، التاريخ، الأدب، والأهم من ذلك كله، هويتها. وفيما يتعلّق بمعظم المستعمرات السابقة لبريطانيا، بدأ هذا العصر في منتصف القرن العشرين، وبشكل خاص بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، حين كانت العديد من هذه المستعمرات تكافح من أجل استقلالها عن بريطانيا. (كليغز، ٢٠١١: ١٣٨٨)

كتاب الأدب ما بعد الإستعماري، من خلال توضيح التفاعلات المتبادلة بين المستعمر والمستعمر عليه، يصوّرون كيف تهيمن ثقافة الدول الإستعمارية على ثقافات الشعوب المستعمرة، وكيف تقاوم هذه الثقافات هذا الإستعمار. أهم سمة في الخطاب ما بعد الإستعماري هي تفكيك الأسس الفكريّة للإستعمار، وبعد النقد الفكري أحد المبادئ الرئيسية في هذا السياق. بدأت حركة النقد الأدبي ما بعد الإستعماري بشكل رئيسي من قبل مفكرين مثل «إدوارد سعيد»، «هومي بابا» و«گایاتري اسيوواك» الذين، رغم عملهم في مجال الدراسات الأدبية في الجامعات الغربية، حافظوا على ارتباطهم الشفافي بالفنون الحلي. ومع مرور الوقت، بدأ هذا الإتحاد في الإكتساب مكانته بين أعمال الشعوب المستعمرة. (شاهيري، ١٣٨٩: ٢٨-٢٧)

من أبرز المفكرين في مجال الأدب ما بعد الإستعماري هو «إدوارد سعيد». من خلال تأليفه لأحد أبرز أعماله تحت عنوان «الإشتراك»، قدم منهجه فكريًا ونقديةً جديداً على مستوى العالم. في هذا الكتاب، يقوم إدوارد سعيد بدراسة كتابات وخطب السياسيين، الكتاب، علماء الاجتماع، والشعراء الغربيين حول المجتمعات الشرقية تحت عنوان الإشتراك. وهو يوضح أنه عندما يتحدث عن الإشتراك، فإن حديثه يتعلق أساساً، وليس حصرياً، بعمارات ومؤسسات بريطانية وفرنسية. (سعيد، ١٣٧٧: ٣١) بناءً على هذه النظرية، يسعى الغرب إلى وضع الشرق تحت سيطرته من أجل تقرّب هذه المجتمعات الشرقية إلى الغرب. الغربيون يعتبرون تجربتهم وثقافتهم هي المعايير الوحيدة، ويررون الثقافات الأخرى مجرد مراحل تمهيدية نحو التنمية والتقدم الغربي. (Taylor, 2002: 1)

نظريّة ما بعد الإستعمار تضم العديد من المفاهيم وتستند إلى مجموعة من النظريّات المتنوعة. من أبرز الأسس المفهوميّة لهذه النظرية يمكن ذكر الاستشراق المركّز على أوروبا وبعض القضايا المماثلة. (سعيد، ١٩٩٨: ٥١)



أعمال الكتاب الذين عاشوا في دول مستعمرة مثل مصر، الجزائر، لبنان، وغيرها من الدول المماثلة، تُعد من بين الأعمال البارزة والمهمة في مجال النقد ما بعد الإستعماري مصر، التي كانت مستعمرة من قبل الإمبراطورية العثمانية، بريطانيا وفرنسا منذ منتصف القرن التاسع عشر، هي من بين الدول التي تضم أعمال كتابها الأدب ما بعد الإستعماري. يعتقد إدوارد سعيد أن العلاقة بين الرواية والإستعمار هي علاقة حفية، تكمن في مراحل نشوء وتطور الرواية. (سعيد، ١٩٩٨: ١٣٩)

تبيلة إبراهيم راشد، الصحفية والكاتبة المصرية المعاصرة، ولدت في ١٩ سبتمبر ١٩٣٤ في القاهرة وتوفيت في عام ٢٠١٢. إسفلات من تجارت جمال عبد الناصر، وكان ينظر إليها على أنها تجارت ملهمة في مجالات الإستقلال الوطني، النهضة، وإقامة العدالة للفقراء. عاشت راشد أحداث مصر وتقلبات فترة عبد الناصر من المزعنة والانتصار، وأعطت أهمية للقضايا الاجتماعية وموضوع الإستعمار في مصر. إهتمامها بمعتقدات وتجارب عبد الناصر، وكذلك أهمية المزائم والانتصارات في مصر، دفعها لكتابه كتاب «حكاية كفاح ضد الإستعمار» من وجهة نظر عبد الناصر، الذي يُعد سيرة ذاتية له. توفيت راشد في ٢٦ مايو ٢٠١٢ عن عمر يناهز ٧٧ عاماً في القاهرة. (زيادة، ٢٠٢٠: ١)

نظراً لانتشار قضية الإستعمار في بعض البلدان العربية ودول الشرق الأوسط، وضرورة الوقوف والمقاومة في مواجهة الإستعماريين من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية وحماية الموقع الجغرافي والموارد الطبيعية لشعوب تلك البلدان، بالإضافة إلى رفاه الأجيال القادمة، وأهمية نشر روح المقاومة ضد الإستعمار في الدول التي تواجه خطر الإستعمار، فإن نطاق الإستعمار الواسع في تاريخ مصر وانعكاساته الواسعة في أعمال الكتاب العرب والمصريين، يسعى هذا المقال إلى دراسة مكونات ما بعد الإستعمار في كتاب «حكاية كفاح ضد الإستعمار» إستناداً إلى المنهج النصي لإدوارد سعيد.

هذا البحث يسعى لإلتحاقه على الأسئلة التالية:

- ١- إستناداً إلى نظرية ما بعد الإستعمار لإدوارد سعيد، ما هي المفاهيم الإستعمارية والمناهضة للإستعمار التي يتم إستعراضها في كتاب «حكاية كفاح ضد الإستعمار»؟
- ٢- كيف قدم الكاتب تفسيراً لآثار الإستعمار وتحدياته في مصر؟

## ١.١ خلفية البحث

جذب الحداثة وجاذبية النقد ما بعد الإستعماري، وأهميته في تحدي الجوانب الإستعمارية للغرب، قد لفت إنتباه العديد من اللغويين والملفكون في هذا المجال.

لذلك، تم إجراء العديد من الدراسات في هذا المجال بإستخدام المنهج النصي ما بعد الإستعماري، التي تناولت تحليل روايات متنوعة:





دروبيشى (١٤٠١) يمنهج ما بعد الاستعماري، «رواية قطعة من أوروبا» قد تناولت دراسة القوى الثقافية الإستعمارية وتأثيراتها على البلدان المستعمرة، وخاصة مصر. وفي النهاية، توصلت الدراسة إلى أن الرواوى حاول أن يُعرف القارئ بالحائقى الكامنة وراء الأهداف الإستعمارية ويحدّرها من تبعاتها.

كريعى نيا (١٤٠١) النقد لمفاهيم ما بعد الإستعمار في رواية «الربيع والخريف» للكاتب حنا مينة تناول بشكل عام موضوع الرواية، مع التركيز على المفاهيم الإستعمارية الرئيسية التي تم استخدامها في النص. كما درس أزمة الموية في شخصية الرواية الرئيسية، وصراع التقاليد والحداثة، بالإضافة إلى باقي العناصر البارزة في الأدب ما بعد الإستعماري. وفي النهاية، أشار إلى التناقض بين الشرق والغرب وقضية الجنس كقضية رئيسية مطروحة في الرواية.

بخارى نوران (١٤٠٠) دراسة الأدب ما بعد الإستعماري في رواية «الواقع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل» بناً على منهج إدوارد سعيد تتناول تفاصيل الإستعمار في الرواية وكيفية إفتعال الشعب الفلسطينى بالإستعلاء عليه وتقديمه كففة دونية. كما تشير إلى تأثير الإستعمار على لغتهم وهوبيتهم، بالإضافة إلى دراسة أهمية وضرورة العودة إلى الذات بعد فترة الإستعمار.

شجاعات زاده و زملائه (١٣٩٩) دراسة رواية «بيوت» بناً على أفكار إدوارد سعيد في مجال الإستشراق، تتناول تحليل خصائص الشخصية الرئيسية كفرد ينتمي إلى بلد لم يكن خاضعاً بشكل مباشر للإستعمار، ولكن كان دائمًا في حالة مواجهة ثقافية بين الشرق والغرب. كما تناولت الدراسة مسألة مركبة الغرب في الرواية وكيفية تمثيل هذا الصراع الثقافي في سياق العمل الأدبي.

اصغرى و غلامى (١٣٩٧) في رواية «الطريق إلى الشمس» يتم دراسة وتوضيح آراء الكاتب حول ما بعد الإستعمار في سوريا وأثار الإستعمار على هذا البلد. وبعد تحليل ذلك، يُشار إلى الإستشراق كأهم عنصر ذكره الكاتب في العمل. سهراوى (١٣٩٤) تم دراسة وتحليل رواية «ذاكرة الجسد» وفي بحثه، يسعى الباحث إلى الوصول إلى أبرز مكونات ما بعد الإستعمار في الرواية، حيث يحدد في النهاية العودة إلى التقليد وفهم الموية كأبرز عنصر في الرواية.

حداداديان (١٣٩٣) من خلال النقد ما بعد الإستعماري لرواية «واحة الغروب» للكاتب بهاء طاهر، وبيان استخدام منهج إدوارد سعيد، يتم تناول قضيابا الإستعمار وتناقضات الشرق والغرب، بالإضافة إلى مواجهة التقاليد والحداثة في هذه الرواية. منصور جمعة (٢٠١٨) تمت دراسة رواية «القانون الفرنسي» من خلال المنهج ما بعد الإستعماري، حيث تم توضيح نضال الشعب المصري في فترة غزو نابليون. وتستعرض الدراسة كيف يستخدم الفرنسيون الدعاية لرسم صورة إيجابية عن أنفسهم والسيطرة على مستعراهم، بما في ذلك مصر. كما تكشف الدراسة، إستناداً إلى دراسات ما بعد الإستعمار، عن الواقع العنيف الذي مارسته فرنسا ضد الشعب المصري.





سعاد عبدالله العزي (٢٠١٧) في مقال «تطبيقات نظرية ما بعد الاستعمار في رواية موسم المجرة إلى الشمال»، يتم تناول العلاقات الميمنية بين المستعمر والمستعمّر. وتم مقارنة رواية «موسم المجرة إلى الشمال» برواية جوزيف كونراد من خلال موضوعات الغربانية والمحنة الثقافية، مع التركيز على تطبيق منهج إدوارد سعيد في تحليل هذه العلاقات.

## ٢. منهج البحث ونظرية ما بعد الإستعمار لإدوارد سعيد

هذه الدراسة، تهدف إلى تحليل «حكاية الكفاح ضد الإستعمار» بإستخدام النموذج النظري لإدوارد سعيد. يعزى شهرة إدوارد سعيد إلى كتابه الشامل «الإستشراق»، الذي يشير فيه بالإستناد إلى الوثائق التاريخية إلى أن اهتمام الأوروبيين، ولاحقاً الأميركيين، بالشرق كان له دوافع سياسية، لكن العامل الرئيسي في هذا الإهتمام كان الثقافة. وبناءً على ذلك، فإن الإستشراق ليس مجرد موضوع أو مجال سياسي فحسب. (سعيد، ١٩٩٨: ٣١) كما يعتقد أن كل من يدرس أو يبحث أو يدرس في مجال الشرق وأساسياته يعتبر مستشراً. (سعيد، ١٩٩٨: ١٥)

من خلال دراسة وتحليل المواضيع والمفاهيم المذكورة في كتاب «الإستشراق»، الذي يبدأ بمناقشة قضايا متعلقة بمصر كمستعمرة ويستعرض جوانب الإستعمار المختلفة في تلك البلاد والنظريات المطروحة، بالإضافة إلى خطب رؤساء الإستعمار مثل بالفور<sup>١</sup> في مصر، يمكننا أن نلاحظ أن ظاهرة الإستشراق ليست مجرد ظاهرة جغرافية بحتة، بل هي ظاهرة علمية تشمل جميع دول العالم الثالث، أو بعبارة أخرى، الدول التي خضعت للإستعمار عبر التاريخ. (خاني، ١٣٩٥: ٢٧)

يعتقد إدوارد سعيد أن الخطاب الإستعماري يعتمد على الفكرة القائلة بأن الغربيين يتسلطون على الشرقيين، وأنه يجب على الشرقيين أن يظلوا تحت السيطرة الدائمة، مما يعني أن أراضيهم يجب أن تُحتل. كما يجب أن تكون شؤونهم الداخلية، بما في ذلك دينهم وكل ما يتعلق بأمّهم، تحت مراقبة دقيقة وصارمة. إضافة إلى ذلك، يجب أن تكون أرواحهم وأموالهم تحت تصرف الغرب. لذلك، فإن معرفة شؤون الأمم وقضايا الشرقيين تعتبر أمراً بالغ الأهمية للغرب. ومن هنا، تم طرح أولى موضوعات الإستشراق بعد استعمار دول شرق آسيا والشرق الأوسط بشكل أكاديمي في الدول الغربية.

يركز إدوارد سعيد في منهجه العام على جميع جوانب التأثيرات السلبية للمستعمرات على المجتمعات المستعمرة، وفي سياق توضيح هذه التأثيرات السلبية، يستند إلى خطب رؤساء الإستعمار. ويعتقد سعيد أن هناك نقطة مشتركة في جميع الغيرات والتأثيرات التي تحدث في المجتمعات المستعمرة، وهي تأثيرات تمتد بشكل واسع وواضح عبر مختلف طبقات حياة الناس في الدول المستعمرة. من هنا، نسعى إلى دراسة السمات الفريدة التي تناولها إدوارد سعيد في كتابه «الإستشراق».

## ٣. الشرق (المصري)، الإنسان المختلف، الفاسد وغير المنطقي

<sup>١</sup> Arthur James Balfour





على الرغم من التسouن الكبير الذي يتمتع به عالم الشرق، إلا أن العديد من الغربيين يرون مجرد «آخر» مظلوم وفوضوي مقابل العالم العربي الذي يعتبر منظماً متقدماً. (Wood، ٢٠٠٦: ٢٠٠)

في خطابه، يصف لورد كرامر<sup>١</sup> شعب مصر قائلاً: «الشريون أو العرب هم أشخاص ساذجون وسهلاً للصدق، ينخدعون بسهولة، ولا يمتلكون أي طاقة أو حافر. هم من محبي التملق والحملات، ويعيلون إلى الخداع وال العلاقات الخفية والمكر، كما أنهم يفتقرن إلى الرحمة تجاه الحيوانات. الشريون هم كذابون قادمي، يعانون من الشكوك والكسل، وفي مقابلهم، يوجد الجنس البشري المتفوق في الغرب.» (سعيد: ١٩٩٨: ٧٥)

الغربيون، بشكل عام، يرون أن الشريين هم أشخاص مختلفون من الناحية الفكرية، يمتلكون مشاعر شهوانية، ويعتبرون ثقافياً خاملين للغاية؛ لديهم حكومات إستبدادية تعتبر من الناحية السياسية ضعيفة وقابلة للانهيار (Mazrui، ٢٠٠٥: ٦٩)؛ «الغربيون (بين أنفسهم والآخرين) دائمًا يضعون فروقات، حيث يقدرون أنفسهم ويخفرون الآخرين.» (Sax، ١٩٩٨: ٢٢٩)؛ في هذا المنظور، يعتقد الغرب أن الشريين لا يستطيعون أن يكونوا مثليين لأنفسهم، و يجب أن يكون هناك شخص آخر ليمثلهم. (سعيد، ١٣٧٧: ٤٧) الشريون لا يستطيعون إستخلاص أبسط الأشياء التي يحكمون على صحتها بأنفسهم كنتيجة منطقية؛ عادةً ما تكون أوصاف الفرد المصري طويلاً وبمهمة، وتقتصر إلى الوضوح، وكلامه متناقض. (سعيد، ١٣٧٧: ٧٥)<sup>٢</sup>

#### ٤. اللمحـة سريـعة عن قـصـة كـتاب «حـكاـية كـفـاح ضد الإـستـعـمـار»

يحكى هذا الكتاب قصة حياة جمال عبد الناصر كما يرويها هو بنفسه، من خلال سرد تجربة راشد، ويعرض تحديات حياته منذ طفولته، بدءاً من فترة دراسته عندما بدأ يتعرف على نضال المصريين من أجل الحرية واهتمامه بالإستقلال. من خلال سرد القصة، يسعى الكتاب إلى نقل مشاعر عبد الناصر السلبية تجاه الإستعمار منذ تلك اللحظة الحاسمة، حيث شهد في صغره موت المناضلين الذين قاوموا الإستعمار. هذه التجربة، إلى جانب تطلعات المصريين للتحرر من نير الإستعمار، شكلت ملامح شخصيته الثورية. لكن هذا الشعور المعادي للإستعمار لم يتبلور بشكل جاد إلا بعد أن أرسله والده، تحت الضغط، للعيش مع عمه حفاظاً على حياته من أخطار الأنشطة المناهضة للإستعمار. وبعد فترة، فقد والدته ولم يُخبر بوفاتها إلا بعد فترة طويلة، مما زاد من عزيمته في مواجهة الإستعمار. كان يعتقد أن الإستعمار هو السبب وراء فراقه عن والدته ومنعه من قضاء اللحظات الأخيرة إلى جانبها. ثم يستعرض الكتاب إستعمار مصر من قبل الإنجليز، وسعى المصريين للتحرر من هذا الإستعمار من خلال ثورات وتحركات تاريخية، موثقاً بطولات المصريين وقصة الإنجليز. كما يعرض الكتاب محاولات بريطانيا لجعل مصر دولة تابعة للغرب في مختلف المجالات، ونظرتها الإستعمارية إلى الشرق الأوسط بهدف السيطرة على مصر بما

<sup>١</sup> وزير خارجية بريطانيا ورئيس وزرائها أثناء إحتلال مصر Lord Cromer

<sup>٢</sup> نقاً عن إدوارد سعيد من Sir Alfered Lyall





تحتويه من ثروات، وكذلك تسهيل التدخل في شؤونها. وفي النهاية، يتناول الكتاب بعض آثار الإستعمار على مصر، وهي ما سنناقشه في هذا البحث.

## ٥. علاقة مصر بالغرب وخطاب الإستعمار

في منظور عام، يمكن فهم أن الإستعمار يعني تدمير هوية أمة أو دولة بهدف إخضاعها والسيطرة عليها. وقد تجسد هذا الرفض البريطاني للتحركات القومية في مصر بشكل واضح في خطاب كرامر، أحد أعضاء القنصلية البريطانية، حيث أظهر معارضته للمؤسسات المحلية الحرة والمستقلة، ورفض الاحتلال الأجنبي والسيادة الوطنية المستقلة. كان كرامر يصر بوضوح قائلاً: «المستقبل الحقيقي لمصر ليس في مسار ضيق للقومية»، بل في مسار أوسع يتضمن العولمة، حيث لا يقتصر الأمر على السكان المحليين بل يمتد ليشمل العالم بأسره. (سعيد، ١٣٧٧: ٧٣)

ما هو واضح أن الغرب كان يتعاطي خطاباً مدمراً، مهيناً، تابعاً وقاتلاً في علاقته مع المصريين الذين كانوا يطالبون بالحرية والقومية والإستقلال والوطنية. في هذه الفترة، كانت علاقة مصر كرمز للشرق مع الغرب علاقة خاضعة وغالبة؛ من النوع الذي يسعى فيه الطرف المغلوب لتقليل تأثير القوة الغالبة.

كان الإستعمار دائماً يحتاج إلى الإستقرار من أجل نجاحه، لذا كان عليه قمع الحركات المعادية له للوصول إلى هذا الإستقرار. في جميع البلدان المستعمرة، وبعد الإستعمار، نشأت حركات مناهضة للإستعمار، ولم تكن مصر إستثناءً من هذه القاعدة. أول عنصر ما بعد الإستعمار الذي أشار إليه هذا الكتاب هو معارضة الإستعماريين للحركات القومية في مصر، كما تم عرض العديد من مظاهر معارضة البريطانيين والمستعمررين لحركات التحرر في مصر في هذا الكتاب على لسان جمال عبد الناصر. حيث يذكر كيف أن المحتلين قاموا بقتل الشوار و كذلك إطلاق النار على الطلاب وقتلهم في الشوارع: «و كنت طالباً أمشي مع المظاهرات، و كان الرصاص يطلق في المظاهرات و كان الطلبة يموتون في الشوارع ... كما نرى الرصاص يصفع أخواننا ... و لم يشعر أحد منا بالخوف.» (راشد، ١٩٧١: ١١)

يقول لقد شاهدت إطلاق نار قوات الاحتلال على أبناء شعبي مرات عديدة، حتى لم أعد أخشى شيئاً منهم ولا من الرصاص والبنادق. كانوا يقتلوننا في الشوارع، لكننا لم نخف. ومع ذلك، كان والدي قلقاً علينا، مثل عمي، خشية أن يصيّنا مكروره: «كان أبي قلقاً بسبب آرائي السياسية حتى أيام تلمذة فقد سجن أخيه أيام الحرب العالمية الأولى بتهمة الإثارة السياسية وكانت مخاوفه طبيعية ... كان يخاف أن يُحلَّ بي ما حلَّ بعمي.» (راشد، ١٩٧١: ١٢)

كان والد جمال قلقاً من أن يلقى ابنه نفس مصير أخيه الذي سُجن بتهمة سياسية. لم يستطع التعايش مع هذا الخوف، لذلك حاول إرسال إبنه إلى مكان آخر، إلى عمه، ليكون بعيداً عن الخطط. هذه العبارة وحدتها تشير إلى أن عصر الإستعمار في مصر كان طويلاً، وتأثرت به أجيال عديدة. جمال عبد الناصر ووالده يُثلاً مثلاً واضحاً على الخوف الكامن في قلوب المصريين من الإستعمار وسلوك المستعمررين العنيف. مصر، التي كانت دائماً تحت السيطرة الإستعمارية منذ الحرب العالمية



الأولى، جعلت مسألة الإستعمار جزءاً كبيراً من تاريخها. وفي الوقت ذاته، كان معارضه التحركات الوطنية في مصر من أولويات المستعمرات منذ البداية. لقد كان الشعب المصري دائماً يعاقب بسبب نضاله من أجل الحرية، عقوبات قاسية مثل القتل في الشوارع، السجن، والتعذيب! وكما أشار إدوارد سعيد في كتابه الإستشراق، فإن المستعمرات في مصر كانوا يتحدون بفخر في خطبهم عن الجرائم التي ارتكبوا.

كان الشعب المصري دائماً يدرك قيمة الحرية والتحرر من الإستعمار، وبذل جهوداً كبيرة لتحقيق ذلك، حتى أحير الحكم على توقيع اتفاقية تنص على أن يلتزم الولاة والحكام في مصر بالعمل وفقاً لرغبات الشعب. ولكن عبد الناصر منذ البداية كان يشك في تحقيق هذا المدف، وكان يعلم أن ذلك لن يحدث. في هذا العمل الروائي، يعرض راشد تجربة عبد الناصر، حيث يصف كيف أن الوالي ذو الأصول التركية، بعد تجاهله لهذه الاتفاقية والتفاهمات، يستمر في العمل ضد رغبات الشعب، وعارض التحركات الوطنية للمصريين، إلى درجة أن الشعب طالب بعزله. ولكن الوالي قال:

«إنى هنا وإلـى بأمر السلطان ولا يمكن إن إلـى رغبة الفلاحين.» (راشد، ١٩٧١: ٢٩)

واصل الوالي تصرفاته مستنداً إلى إستبداده ومطمئناً إلى أن الشعب المصري لا يملك القدرة على عزله. في هذه الجملة الواحدة يتجلّى بوضوح الإستبداد، حيث يظهر كيف أن المستعمرات لم يعيروا أي إهتمام لشعوب البلاد المستعمرة. وبالرغم من وجود وثيقة موقعة تلزمها بالتعامل مع الشعب، إلا أنه صرّح بوضوح أنه لن ينصاع لإرادة الناس، وهو ما يعتبر مواجهة صريحة للتحركات الوطنية المصرية. من الواضح أن بريطانيا لن تتخلى بسهولة عن مواقفها، وستعمل على تثبيت تفوقها العنصري ولن تتخلى عن مصر، التي تُعتبر واحدة من أغنى مستعمراتها، بسهولة. ولهذا السبب، كانت تعارض بشدة أي تحركات وطنية مصرية، حتى لو كانت صغيرة، ولا تُعترف بحق الشعب المصري في الحرية والإستقلال.

## ٦. النظرة الأداتية والإستصغارية

إحدى أهم مؤشرات ما بعد الإستعمار هي الإهانة والنظرة الأداتية تجاه شعوب وموارد البلدان المستعمرة، لأن هدف الإستعمار كان إستغلال شعوب وموارد تلك البلدان لتحسين موارد البشر وغير البشر في الدولة الإستعمارية. غالباً ما كانت الدول الإستعمارية تعتبر موارد البلدان الأخرى ملكاً لها، وتعمل على إخضاعها بكل الوسائل الممكنة. ولم يكن الغرب يبذل جهداً لإخفاء هذه الفكرة، بل كانوا يشيرون إليها في مخافلهم العامة وخطبهم. كما أن كرامر في خطابه لم يحاول إخفاء هذه الفكرة. (سعيد، ١٣٧٧: ٧٥) كان الغربيون يرون أنفسهم أعلى وأكثر رفعة من الشرقيين، وكانوا يعتقدون أن العالم بأسره يجب أن يكون في خدمة ريقهم وتفوقهم. وكانوا أيضاً يعتبرون أنفسهم ثقائياً أعلى من الآخرين. (سعيد، ١٣٧٧: ٢٣) فلذا يمكن القول أن موقعة الخصوص هي نتيجة للنظرة الأداتية التي كان الغرب يوجهها نحو الشرق؛ هذه النظرة تهدف أيضاً إلى تعزيز المكانة المتفوقة للغربين. ولذلك، يعتبر الإستشراق أسلوباً غربياً يهدف إلى فرض المهيمنة، وإعادة الهيكلة، والسلط على الشرق. (سعيد، ١٣٧٧: ١٦)





يمكن إستنتاج من نظرية ما بعد الاستعمار لإدوارد سعيد أن الغربيين، من أجل تحقيق أهدافهم في التقدم، كانوا يستغلون عن عدم موارد وموارد الدول المستعمرة الغنية وكذلك الواقع الإستراتيجية لهذه البلدان. كان الغربيون يزرون في أذهان الشرقيين، بما فيهم المصريين، فكرة الفروضية، مما أدى لاحقاً إلى التأثير الاقتصادي ونخب موارد هذه البلدان. وقد عتر راشد، بأسلوبه الأدبي الجميل، عن فكر عبد الناصر حول النظرة الأداتية للغربيين بلغة بسيطة، حيث كان عبد الناصر يوضح بشكل قاطع سبب إستعمار بلاده:

«كنا دائماً نردد و نقول: عندنا موقع استراتيجي من أهم الواقع الإستراتيجي ... عندنا ثروات طائلة ... عندنا قوة بشرية هائلة ... نعم عندنا ... وكل هذا يجب أن يكون أسباب ضعف ... فمنذ أكثر من ألف سنة ... و وطننا بحكمه الغزا. كان الموقف الاستراتيجي الذي يمثل القوة هو سبب احتلالنا و كانت الثروات الطائلة التي يجب أن تمثل القوة هي سبب إحتلالنا ... إحتلالنا لأجل سرقة هذه الثروات.» (راشد، ١٩٧١: ٢٠)

يقول جمال عبد الناصر «كنا دائماً نفخر بثرواتنا وموقعنا الإستراتيجي وقوة العمل التي كانت لدينا، لأن هذه كانت من نقاط القوة في بلادنا، لكن كل هذه الثروات تحولت إلى نقطة ضعف لنا، لأنها أدت إلى إستعمار طويل الأمد لبلادنا.» من خلال هذه العبارات، نلاحظ أن الغرب لم يكن يقدر مصر كدولة، ولم يكن يوليها أي قيمة أو اعتبار، بل كان يعتبر موقعها وشعبها مجرد أدوات لزيادة قوته. وعلى الرغم من أن الشعب المصري كان يشعر بالرضا والسعادة بمواردهم الشغينة، إلا أنهم كانوا دائماً في حالة صراع وتدمير، وبدلأ من الإستفادة من تلك الثروات، كانوا يفكرون فقط في التحرر من الإستعمار، وتحقيق النجاح، وقيام ثورة فكرية. لكن، بما أن تحقيق هذا كان يتطلب مساعدة القوى الغربية، فقد فشل المصريون ماراً وتكراراً، و شهدوا نخب بلادهم.

كانت مصر ومدينة القاهرة دائماً من أبرز البلدان من حيث الموارد، إذ أن موقعها الجغرافي المتميز قد منحها ثروة من الموارد الطبيعية التي جعلتها مقصدًا لأطماع القوى الإستعمارية، التي لم تتوافق أبداً عن سعيها للإستفادة منها. «في تلك الفترة تحول وطننا إلى غاية تحكمها وحوش ضاربة ... كان مماليك يعتبرونه الغنية، و كان الصراع الريء بينهم يجري على نصيب كل منهم في الغنية. وكانت أرواحنا و ثرواتنا و أراضينا هي الغنية» (راشد، ١٩٧١: ٢٧)

في إطار النظرة الأداتية تجاه شعب وموارد مصر، قدم راشد صورة بلاحية بدعة للمستعمرات، حيث شبه مصر بالغاية التي يسكنها المستعمرات كالحيوانات المفترسة. وربما يمكننا أن نفهم هذا التشبيه بشكل أعمق، إذ يشبه المستعمرات بالفترسات التي ترقق أجزاء من الغابة بأسنانها، لا ترى فيها سوى غنائم ثمينة، بما في ذلك البشر والشعب المصري، الذين لم يُنظر إليهم إلا كأدوات للنهب والإستغلال. فالغابات مليئة بالموارد التي يمكن حتى جزء صغير منها أن يلي احتياجات أمة بكمالها. ومن المعروف أن مصر، وفقاً لآراء وشهادات متعددة، تُعد من أغنى البلدان، بموقعها الجغرافي المميز. هذا هو أعمق تعبير قدمه راشد عن أيام عبد الناصر، حيث كانت المفترسات الجائعة لا تميز بين ما هو أمامها، فبقاءها وحياتها كانا يتطلبان تغريق كل شيء، من النباتات إلى البشر، حتى تظل قواها في أوجها ولا تضعف.



في إطار حديث عبد الناصر، يُفضل بشكل دقيق أن المستعمرين لم يروا في الأرضي والشوات والأموال فحسب، بل حتى في أرواح الشعب المصري غنائم ينهونها. كانوا يسعون لتحقيق أهدافهم التي كانوا يخططون لها، لكن للوصول إليها، كان عليهم التغلغل في أعماق نفوس المصريين، ليجعلوهم تدريجياً يقبلون هيمنتهم ويسّلّمون لهم طوعاً، حتى لا يقفوا عائداً أمام تحركاتهم الإستعمارية. ولم يكن المدف في الإستياء على الأرضي فقط، بل كانوا بحاجة أيضاً إلى غنائم فكرية وأدوات ثقافية لنشر ثقافتهم الغربية وتعزيز مكانتها في مسعى لتحقيق العولمة، فقد كان الإستعمار للأرضي وحده غير كافٍ لهم.

## ٧. الخطية تكونها من الشرق

في دراسات ما بعد الإستعمار، وفي سياق دراسة النظرة الأدائية للغربيين تجاه البشر الشرقيين، يتناول إدوارد سعيد هذا الموضوع حيث يرى أن الغربيين كانوا ينظرون إلى الشرقيين دائمًا على أنهم شرقيون مهانون، ويعتبرونهم بشكل ما مجرمين. كان الغربيون يعتقدون أن الشرقي هو الشخص الذي سيكون دائمًا مجرماً وحاصلاً، وأن الجريمة الأصلية للشرقي هي كونه شرقياً. (سعيد، ١٣٧٧: ٧٣) كما كان الغربيون يرون أنفسهم عرقاً متقدّماً، ولم يعترفوا أصلًا بقيمة الشرقيين، كانوا يعاقبونهم أيضاً بسبب كونهم شرقيين، وكانوا يعتقدون أن كون الشخص شرقياً أو حتى التفكير بالقرب من طريقة تفكير الشرقيين بعد جريمة.

كان الغربيون يعتقدون أن هذا الفرد العربي الجرم لا يمتلك القدرة على الإستدلال، ولا يفهم الموقف المختلفة ولا يعرف التصرف الصحيح في مواجهتها. من منظورهم، الإنسان الشرقي لا يمتلك القدرة على فهم ما هو جيد له وما قد يضره. (سعيد، ١٣٧٧: ٧٣). في إطار توسيع جميع ما ذكر، كان الأوروبيون يعتقدون أن الشرقيين، لعدم امتلاكهم إستدلالاً صحيحاً، يعانون من تشوّش في عقولهم، مما يمنعهم من السير في طريق مستقيم أو حتى على الرصيف بطريقة صحيحة. (سعيد، ١٣٧٧: ٧٤)

في إطار توسيع جميع ما ذكر، كان الأوروبيون يعتقدون أن الشرقيين، لعدم امتلاكهم إستدلالاً صحيحاً، يعانون من تشوّش في عقولهم، مما يمنعهم من السير في طريق مستقيم أو حتى على الرصيف بطريقة صحيحة. (سعيد، ١٣٧٧: ٧٥) بعد الجهود الكبيرة التي بذلها الغربيون لتغيير تفكير الشرقيين وفتح طريق للتنفيذ في عقولهم، كانوا ينظرون إليهم، حتى في أمورهم الخاصة، ك مجرمين، لا قيمة لهم ولا يستحقون للحياة إذا لم يكونوا أدلة لخدمة مصالحهم! في جزء من كتابه، يذكر راشد الحريق المائل في القاهرة، وبين كيف أن الغربيين لم يذلوا أدنى جهد للسيطرة عليه:

«و في يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ حدثت مأساة حريق القاهرة ... العاصمة العظيمة و هي تحترق، من أشعل المنظر في كفاحها، فقد دمّرت النار ٤٠٠ مبني أُنذلت بها الخسائر فادحة، و تركت ١٢٠٠٠ شخص بلا مأوى و بلغت الخسائر ٢٣ مليون جنيه. و لم تتحذ السلطات أى إجراء ... «النحاس» رئيس الوزراء لم داره في حاردن سيني ... و ظل «فاروق» في قصر عابدين لا يحرك ساكناً ... السلطات أى إجراء و لم تصدر الأوامر الجيش بالنزول إلا في عصر ذلك اليوم ... نزل الجيش ليضرب الشعب و ما كنا نستطيع أن نقول لا ...» (راشد، ١٩٧١: ٥٦)



راشد يشير إلى أن المسؤولين الإستعماريين كانوا في قصرهم أو في منازلهم، ويدرك أنهم لم يبذلوا أي جهد لإخماد الحريق، ومع وجود عدد كبير من الضحايا، لم يصدروا حتى أمراً بإرسال الجنود لمساعدة الناس في منع انتشار الحريق. كان المسؤولون البريطانيون يفكرون في معاقبة شعب مصر، لأنهم كانوا يرونهم مجرمين شرقيين غير مستحقين للعيش. وعندما وصل الجنود في عصر ذلك اليوم إلى الميدان، قاموا بضرب الناس، ربما بنفس السبب الذي عقوبوا من أجله وأحرقوا. كان الأوروبيون يعتقدون أن الشرقيين لا يمتلكون القدرة على الإستدلال، وأنه يجب عليهم قبول الإستدلال الصحيح والمطلقي للغرب والرطوش للإستعمار دائمًا، لأن البريطانيين كانوا يرون أن حكم بريطانيا على مصر كان لصالح الطرفين. وبسبب هذا الإستبداد، وأن المصريين كانوا مشغولين بمحاولة إنقاذ القاهرة، عندما كان الجنود يضربونهم، لم يكن لديهم القدرة على قول «لا» أو المقاومة. المحاردون ضد الإستعمار، ومنهم جمال عبد الناصر، في ذلك اليوم قرروا عقد إجتماع طارئ للقيام بإجراء حاسم ضد الإستعمار البريطاني والمخزنة والإهانة التي تعرض لها الشعب المصري. كان البريطانيون قد أعلنوا في ذلك اليوم حظرًا كاملاً على أي حركة أو تنقل، وكان هذا يعني أن الغربيين كانوا يعتقدون أن الشرقيين مجرمون دائمًا ويجب إخضاعهم، وأن القرارات يجب أن تُتخذ نيابة عنهم! في الفكر الغربي، كان هذا الموقف يمثل جزءاً كبيراً من تصورهم بأن الشرقيين لا يستطيعون السير بشكل منظم على الرصيف، وقد ورد هذا الأمر في العديد من المصادر. كما تناول إدوارد سعيد هذه القضية، وأشار راشد في كتابه أيضًا إلى هذا الموضوع من خلال كلمات عبد الناصر:

«كنا في الماضي نسمع الكلام ... و نسير بجانب الحاطط.» (راشد، ١٩٧١: ٦١)

يُشير عبد الناصر إلى أنه في الماضي كان المصريون يطمعون أوامر البريطانيين طاعةً كاملة، حتى أنهم كانوا يسيرون بجانب الجدار بناءً على تعليمات الغربيين. هذه المشية بجانب الجدار مثل خرينة غنية بأنواع من الأفكار الغربية التي سقون بتفسيرها. هذه العبارة تعكس التفكير الغربي الذي يرى أن الشرقيين، بما أنهم يفتقرن إلى القدرة على الإستدلال وعقولهم مشوشة، فهم لا يملكون المنطق السليم، وبالتالي يجب على الغرب أن يتخذ القرارات نيابة عنهم. ومن هنا، كان البريطانيون يُسيرون الشعب المصري على السير بجانب الجدار ليفرضوا أفكارهم وقراهم على الإستدلال، وإظهار نزعتهم الإستعمارية المسلططة. يشير راشد هنا إلى ظهور علامات الحرية القريبة لمصر، ويستخدم كلمة «الماضي» كنوع من التحدي للغربيين، مُظهراً أن المصريين في الماضي كانوا يطمعون تماماً أوامر الغربيين. وهذا يعود إلى الأسباب التي ذكرناها سابقاً، مثل خوف المصريين ورعبهم من قسوة البريطانيين والنظرية الإستغلالية التي كانوا يعاملونهم بها، وفي نفس الوقت، كانوا منذ البداية يقاومون الإستعمار. ولكن في تلك المرحلة التاريخية، أي بعد حريق القاهرة، أصبح الشعب المصري أكثر وعيًا من ذي قبل، يبحثون عن حريةهم ويعملون على إزالة وصمة الجريمة التي التصقت بهم. وبشورتم، أثبتوا أنهم يمتلكون القدرة على الإستدلال وفهم المنطق، وأن بريطانيا لا يمكنها معاقبتهم مجرد كونهم شرقيين.



## ٨. لخيانة كأداة للإستفادة من الإستعمار

لورد كرامر «أول مثل بريطاني في مصر» الذي نال تقدير بريطانيا، حيث في عهده كانت صادرات بريطانيا إلى مصر تعادل مجموع صادراتها إلى قارة أفريقيا، وهو ما أدى إلى رفاه مالي لمصر، ولكن بخصبة غير متكاففة. ما كان مهماً في هذا السياق هو الوصاية الشاملة والمستمرة للغرب على دولة شرقية. في هذا السياق، ساعد بعض الناس من مصر، بما في ذلك المبشرين والمفكرين، والتجار، والجنود، الغرب في تحقيق أهدافهم. (سعيد، ١٣٧٧ : ٧٠)

مصر قد خضعت للإستعمار لسنوات طويلة، وحسب الشواهد التاريخية، كانت في البداية مستعمرة عثمانية، وكان هذا الإستعمار تقريباً بداية الإستعمار في مصر. الشعب الذي يقع تحت السيطرة والإستعمار، فإن قيمة واعتبار الحرية في أذهانهم تتلاشى كما لو كانت سراباً في الأفق البعيد، ويؤدي هذا النسيان والطاعة إلى وضعهم في مسار يجعلهم لا يملكون تصوراً عن وطنهم دون الإستعمار. هذه العقلية تعمل بالنسبة للإستعماريين كطريق مختصر. وفقاً لنظرية إدوارد سعيد، إذا نظرنا إلى هذه القضية بعينية، سنكتشف أن هذه العقلية هي التي جعلت المفكرين المصريين يرتكبون على المظاهر، ومع الرفاه المالي القليل الذي وفرته لهم الدولة المستعمرة، تملكون من التعامل مع الإستعمار، وفي النهاية، من أجل التصدي للمطالبين بالحرية في بلادهم وهزيمتهم، قاموا بالخيانة ضد بلادهم وشعبهم؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن الغربيين أفضل وأكثر قدرة على إدارة بلدهم، وأن التقدم والأزدهار في مصر مرتبطان إلى حد كبير بحكم الإستعمار عليها. بالطبع، لم يكن هذا الفكر خاصاً بالملقين فقط في مصر، بل كان متوجهاً في عقول الكثير من أفراد المجتمع المصري في تلك الفترة.

يشير راشد في كتابه بشكل مفصل إلى الخيانة التي تعرضت لها مصر، وفي بعض الأحيان يشير بشكل غير مباشر إلى الشعب المصري نفسه. يرى عبد الناصر أن الإستعمار البريطاني كان قائماً بشكل كامل على الخيانة؛ لأنه يعتقد أنه لو لم تحدث الخيانة، لكان الشعب المصري، خلال الفترة التي كان يقوم فيها البريطانيين في شوارعه، قد أجبر الغربيين في النهاية على التراجع، وأصبحت جهود البريطانيين في مصر خلال ثلاثة أسابيع بلا جدوى. لكن الخيانة التي تعرض لها الشعب المصري هي التي أدت إلى إستعمار مصر لعدة سنوات:

«لم يستطع الإنجلizer بأي حالٍ من الأحوال حينما غزوا مصر أن يسيطروا عليها عن طريق الإسكندرية، بالعكس، تقهروا وانسحبوا أمام الجيش المصري بقيادة عرابي واضطروا أن يعودوا إلى الإسكندرية ويركباً مراكبهم، ثم تدخلت الخيانة ... عادوا ليدخلوا بلادنا بالخدعية والخيانة ... فقد عادوا ليدخلوا بلادنا عن طريق قنال السويس ... وكانت هناك اتفاقية تمنع استخدام قناة السويس للأراضي العسكرية، الاتفاقية تقول إنّ قناة السويس محتمة دولياً لا تستخدم في العدوان ... ولكن الحملة البريطانية استخدمت «دلسبس» الفرنسي حتى يسمح لها بأن تمر في قناة السويس حتى تصل إلى الإسماعيلية بالخدعية ...» (راشد، ١٩٧١ : ٣٩ و ٤٠)

ينهي راشد على جهود الشعب المصري في مقاومة الجيش البريطاني، ويتناول القضية الأهم التي كانت العامل الرئيس للإستعمار في بلادهم. قناة السويس، منذ إنشائها وفقاً للاتفاقية التي وضعت لها، كان من المفترض ألا تُستخدم لأغراض



عسكرية، بل يجب أن تُخترم كطريق مائي ولا يُسمح بإستخدامها لأغراض عسكرية أو في خدمة الأعداء. يشير راشد إلى هذه الحادثة التاريخية التي إستخدمت فيها بريطانيا قناة السويس، متجاوزةً القوانين الدولية لتحقيق أهدافها، مما أدى إلى إستعمار مصر. ويؤكد أنه لو لم تكن هذه الخيانات، لما كانت بريطانيا قادرة على السيطرة على مصر، خاصةً وأنها كانت مضطربة للتراجع. هنا يطرح راشد سؤالاً: لماذا كان لأحد الفرنسيين الحق في منح بريطانيا الإذن بإستخدام قناة السويس لأغراض عسكرية؟ في الواقع، من خلال طرح هذا الغموض، يحاول راشد أن يكشف عن خيانة الحكام المحليين في مصر. ولهذا السبب، يشير الكاتب لاحقاً إلى أن تدخل فرنسا كان بناءً على طلب الخديوي للحفاظ على عرشه، وهو ما أدى في النهاية إلى إستعمار مصر لمدة ٧٤ عاماً.

في ما بعد، يكشف راشد عن أسماء هؤلاء الأشخاص من خلال كلام عبد الناصر:

«وجدنا أن الإستعمار ينجح و يدخل مصر لابقة السلاح و لا يكتفى الجندي لكن بفضل الخونة و المنافقين من أمثال «يوسف خنفس» و رجال الحكم في ذلك الوقت وعلى رأسهم الخائن الأول: « توفيق » ( راشد، ١٩٧١: ٤٠ ) يشير راشد نقاً عن عبد الناصر إلى أن الإستعماريين لم يكن لديهم القدرة على السيطرة على المصريين بإستخدام القوة العسكرية أو الأسلحة الحديثة أو الجنود بكثرة، بل أن الخيانة من الداخل، مثل خيانة توفيق، هي التي أدت إلى إستعمار بلادهم. توفيق، الذي كان أول شخص يحمل مسؤولية سياسية ويكون المصريين من أجل الحفاظ على عرشه، يُعتبر من قبل عبد الناصر أول خائن في مصر. كان توفيق يعتقد أنه من خلال إظهار حسن النية وشرح الطريق الصحيح للبريطانيين، وكذلك تقديم معلومات للوصول إلى قناة السويس، يمكنه إنقاذ حكومته. ولكنه أصبح أحد العوامل الرئيسية للإستعمار البريطاني، والذي من خلال استغلاله لخداعه، لم يتمكن فقط من ضمانبقاء حكومته، بل أيضاً ساهم في نهب مصر لسنوات عديدة. وهذه هي بالضبط نفس القضية التي أشار إليها إدوارد سعيد في كتابه الإشتراك. ربما يكون من الأفضل أن نقول إن الأسلحة النارية لم تكن هي التي ساعدت الإستعماريين، بل كان لدى الإستعماريين على مر التاريخ سلاح أقوى وأفتك من الرصاص، وهو سلاح الخيانة!

«الإنجليز لم تختل أرضنا لأننا قصّرنا في قتالهم ... أو لأننا لم ندافع عن بلدنا وكرامتنا و لكن كان السبب الأول والأوحد في الفزع، هو الخيانة ... كانت الخيانة موجودةً في هذا البلد ... الخيانة ضربت الثورة عن الخلف ... الخيانة المتحالف مع الإستعمار ... ولم تصل «ثورة عربي» إلى حيث كانت تستطيع» ( راشد، ١٩٧١: ٤١ )

يعتقد راشد أن الشعب المصري لم يقصر في حماية وطنه، وكان حاضراً في كل ساحة حيثما دعت الحاجة. يشير بوضوح إلى أن نجاح بريطانيا في إحتلال أرضينا لم يكن بسبب عدم قدرتنا على القتال ضدّهم أو تقاعسنا عن الدفاع عن وطننا وكرامتنا؛ كما ذكرنا، كانت خيانة العوامل الداخلية السبب وراء إحتلال مصر. كان المصريون يسعون إلى تحقيق ثورة لطرد الحكام الإستعماريين المتبقين من عهد الإستعمار الفرنسي، بقيادة عربي، من بلادهم. وفي اللحظة التي هاجمت فيها بريطانيا مصر بهدف الإستعمار، قاوم الشباب والشعب المصري بقيادة عربي الجيش البريطاني. ولو لا خيانة توفيق، ربما لم تكن مارة



الإستعمار لسنوات طويلة لفرض مرة أخرى على الشعب المصري. راشد يؤكد بوضوح أن خيانة المسؤولين الداخليين في مصر كانت العامل الوحيد الذي أدى إلى فشل ثورة عرابي وضريها في الصميم، وهو ما يعبر عنه بوضوح المثل القائل «طعن من الخلف». وعلى أي حال، فإن القراءة المنطقية لنقطة التحول في إستعمار مصر من قبل بريطانيا تكمن في خيانة العوامل الداخلية. ربما لو كان الشعب المصري قد خضع للإستعمار بسبب ضعف القوة العسكرية أو قلة الإمكانيات، لكن تحملهم لهذا الواقع أقل صعوبة، وربما كانوا أكثر تقبلاً له. وبعد ذكر إسم توفيق وخيانته، يحيى الدور لذكر عائلة «محمد علي باشا»: «ثم بدأ الاستعمار البريطاني يحيى بالأصنام يضع منها فوق رؤسنا ملوكاً وأمراء ... كانوا أدلة ضعفاء أمامه لأنهم سيدهم و خالقهم ... و منذ أكثر من مائة و خمسين سنة و وطننا تملكه أسرة واحدة ... تملكه و تحكمه و تبشر ثروته لحسابها أو الحساب الأجنبي الذي اعتمد عليه دائمًا ليسند وجودها ... و تاريخ أسرة «محمد علي» في مصر سلسلة من الخيانات التي ارتكبت في حق الشعب.» (راشد، ١٩٧١: ٤٢)

يعتبر راشد أسرة محمد علي باشا خونة مصر، إرتكبوا سلسلة من الخيانات ضد الشعب المصري. ثم يشير إلى عواقب هذه الخيانة والإستعمار. كما ذكرنا سابقًا، فقد ساعد توفيق بريطانيا من أجل الحفاظ على عرشه. الآن نرى راشد يؤكد مجددًا أن بريطانيا سيطرت على مصر من خلال حكام وأرباب يستغلوا لصالحها. يشير إلى أن توظيف هؤلاء الحكم يعكس تفضيل بريطانيا لهم على حساب الشعب المصري وتحميش المصريين. ولكن الأبرز في هذه العبارات هو الإشارة إلى الخيانات المستمرة لأسرة محمد علي باشا، التي إستولت على ثروات الشعب المصري بالكامل. إما احتفظوا بها لأنفسهم وحساباتهم الشخصية أو سلموها للأجانب.

يذكر راشد في كتابه الإستعمار البريطاني الذي استمر ٧٤ عامًا، ثم يتناول بإسهاب خيانة أسرة محمد علي التي امتدت ١٥٠ عامًا. وبإطلاله سريعة على تاريخ مصر، يتحلى لنا أن البلاد كانت مسرحًا لإستعمار الأمم شتى. ولعل إشارة راشد إلى خيانة هذه الأسرة طيلة قرن ونصف تأتي لتسلیط الضوء على قضيّاً عدّة، أبرزها أن الخيانة لم تكن من قوى أجنبية فحسب، بل شارك فيها بعض أبناء الشعب المصري أنفسهم، الذين سعوا وراء مصالحهم الشخصية وتقاسموا ثروات مصر المائة، مما أتاح الفرصة للإستعمار أن يثبت أقدامه. وبالإضافة إلى ذلك، يشير راشد عبر التركيز على ١٥٠ عامًا من الإستعمار الغربي سؤالًا مهمًا: هل اقتصرت خيانة هذه الأسرة على تقليل الخدمات للبريطانيين؟ الجواب الذي يطرحه ضمناً يشير إلى أن خياناتهم تجاوزت ذلك، حيث امتدت لأكثر من ٨٠ عامًا أخرى، قدّموا خلالها يد العون لأمم أخرى، مثل العثمانيين، في إحكام سيطرتهم على الأراضي المصرية.

في ختام هذا الكتاب، الذي يُعتبر خلاصة حياة عبد الناصر تحت ظل الإستعمار، يصل راشد إلى النتيجة التي يُشير فيها إلى سرّ تحرير مصر من الإستعمار:

«عندما قامت الثورة كان المبدأ الأول هو: القضاء على الإستعمار و أعوانه من الخونة المصريين ...» (راشد، ١٩٧١: ٦٠)





كان أول مبدأً بعد الثورة هو القضاء على عوامل الإستعمار، أي الخونة من المصريين أنفسهم. فقد كانت مصر على وشك تحقيق النصر في المراحل الأخيرة من الثورة، ولكن خيانة العناصر الداخلية حالت دون ذلك وأدت إلى الفشل في الخطوات النهائية. لذلك، من أجل ترسين الثورة والتخلص من قيود الإستعمار، كان لا بد من القضاء على أولئك الخونة. ولم يتحقق هذا النجاح إلا بالإلتزام بهذا المبدأ الأساسي.

سلط إدوارد سعيد الضوء في تحليله لآثار الإستعمار على الدور البارز الذي لعبه الخونة في تمكين الإستعمار. ومع ذلك، يوضح راشد في كتابه «حكاية كفاح ضد الإستعمار» أن العامل الوحيد والحاصل الذي ساهم بشكل مباشر في إستعمار مصر هو خيانة المسؤولين الداخليين. وبعد انكشاف هذه الحقيقة، كان القضاء على هذه العوامل الداخلية هو المفتاح لتحقيق تحرير مصر وإستعادة سيادتها.

### نتائج البحث

١- في هذا العمل، تم الإشارة في البداية إلى قمع الحركات الوطنية المصرية من قبل المستعمرين الإنجليز الذين كانوا يرونها عقبة أمام تنمية البلاد بشكل شامل. بعد ذلك، تم التطرق بشكل مفصل إلى النظرة الإستغلالية التي كان يتمتع بها المستعمرون تجاه الشعب المصري، حيث كانوا يستغفرون من موارده الغنية، والقوة البشرية، والإحتياطات المائلة في البلاد لتحقيق أهدافهم الإستعمارية، وخاصة في مجال نشر الثقافة الغربية وعلى رأسها بريطانيا. أهم عنصر تناولته راشد في هذا السياق هو تأثير الخيانة في عملية إستعمار مصر. يشير الكاتب، من خلال نقل أقوال جمال عبد الناصر، إلى أن هذه الخيانات كانت السبب في إستعمار مصر في مراحل تاريخية مختلفة، وفي النهاية يوضح أن حرية مصر لم تتحقق إلا من خلال القضاء على هؤلاء الخائبين.

٢- الكاتب الذي كان صحفيًا في الماضي، وبالرغم من امتلاكه معلومات قيمة وتاريخية حول الأحداث السياسية في مصر والعوامل المؤثرة في الإستعمار، يعرض هذه المعلومات بأسلوب أدبي سريدي من خلال أفكار جمال عبد الناصر، الذي كان سياسياً وناشطاً سياسياً بارزاً. يسعى الكاتب إلى تقديم هذه الأحداث بشكل دقيق ليمنح القارئ صورة واضحة حول تلك التحديات الإستعمارية. هذه المسألة تتعلق أيضاً بإهتمام راشد بأفكار عبد الناصر، ففي هذا الكتاب، بالإضافة إلى تقادم سرد واقعي للأحداث، منح الكاتب العمل قيمة تاريخية أعمق من خلال التركيز على جوانب مختلفة من تفكير عبد الناصر. كما أن راشد لم يقتصر على عرض الأحداث العامة المتعلقة بالإستعمار البريطاني لمصر فقط، بل سعى بعيداً عن المبالغة أو التكرار، لتقديم صورة دقيقة وواقعية عن الوجه القبيح للإستعمار وأثاره على الشعب المصري.

٣- النتائج تشير إلى أن الجو الأدبي لهذا العمل يعكس أن في زمن عبد الناصر، كان الإستعمار البريطاني لمصر وقواته وحلفاؤه يلقى بظلاله على راحة وطمأنينة الشعب المصري، الذي كان يعيش في خوف دائم من فقدان أحبيائه أو تعرضهم للتعذيب والإضطهاد. يستخدم راشد في هذا السياق ذكرى مؤلمة من حياة والد عبد الناصر، وهي تجربة سجن شقيقه، ليعرضها بأسلوب سريدي يعزز من تأثير هذه المعاناة على الناس ويظهر عمق الأذى الذي تعرض له الشعب المصري في ظل الاحتلال.



٤- الشعوب في المجتمعات المستعمرة تعيش دائمًا تحت وطأة المعاناة والضغط والمصائب، سواء كان ذلك نتيجة القهر الذي تفرضه القوى الاستعمارية أو بسبب اختياراً لهم للهرب من المشاكل التي تسببت فيها هذه القوى. في هذا العمل، يسلط نبيلاً راشد الضوء على رحلة المنفي القسري التي قام بها جمال عبد الناصر، والتي كانت نتيجة مباشرة للإستعمار البريطاني. كان والد عبد الناصر قد قرر ابتعاده عن مصر لحمايته من المشاركة في الأنشطة السياسية المعارضة، معتقدًًا أن الإبعاد هو السبيل الوحيد لحمايته. لكن هذا بعد عن الوطن والعائلة جعل جمال عبد الناصر غير مدرك لوفاة والدته، وهو ما إنبرأ نتيجة للظلم والإستبداد الاستعماري الذي فرض على وطنه.

### المصادر

- اصغری، جواد، سیمین غلامی (١٣٩٧)، مؤلفه‌های پسا استعماری در رمان راه خورشید «الطريق إلى الشمس»، ادب عربی سال ١٠، شماره ٢، صص ٤٠-٢١.
- بخاری نوران، زیبا، (١٤٠٠)، بررسی ادبیات پسا استعماری در رمان «الواقع الغریبی فی اختفاء سعید ابی النحس المشائیل» بر اساس رویکرد ادوارد سعید، پایان نامه کارشناسی ارشد، گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه خوارزمی، استاد راهنما: عبدالله حسینی توکلی، مهران، (١٣٨٥)، استعمار استعمارگری استعماری زدایی جهان سوم، تهران: نی، چاپ اول
- خانی، محمدحسن، (١٣٩٥)، پسا استعمار و نظم جهانی، تهران: دانشگاه امام صادق (علیه السلام)، چاپ اول
- راشد، نبیل، (١٩٧١)، حکایة كفاح ضد الاستعمار، مصر
- زبیدة، هانی، (٢٠٢٠)، نشریة المصري الیوم
- سردار، ضیاءالدین، (١٣٨٦)، شرق‌شناسی، ترجمه محمدعلی قاسمی، تهران: پژوهشکده مطالعات فرهنگی و اجتماعی، چاپ اول
- سعید، ادوارد، (١٩٩٨)، الثقافة والأمبریالية، ترجمة کمال أبوذیب، بیروت، دارالآداب
- سعید، ادوارد، (١٣٧٧)، شرق‌شناسی، ترجمه عبدالرحیم گواهی، تهران: دفتر نشر فرهنگ اسلامی، چاپ دوم
- سعید، ادوارد، (١٣٨٢)، نقش روشنفکر، ترجمه حمید عضدانلو، تهران: نی، چاپ دوم
- سیدقطبی، سید مهدی، (١٣٨٦)، سرنوشت مصر، ترجمه حسین سعادت نوری، تهران: مجمع ذخائر اسلامی، چاپ اول
- شاهمیری، آزاده، (١٣٨٩)، نظریه و نقد پسا استعماری، تهران: علم، چاپ اول
- شیرزادی، رضا، (١٣٨٨)، مطالعات پسا استعماری نقد ارزیابی دیدگاه‌های فرانس فانون ادوارد سعید و هومی بابا، مطالعات سیاسی، شماره ٥، صص ١٧٤-١٤٩
- صدرهاشمی، سید محمد، (١٣٩٥)، جامعه و فرهنگ مصر، تهران: انتشارات بین المللی المدی، چاپ اول
- عزتی، ابوالفضل، (١٣٦٠)، استعمار نو، تهران: هدی، چاپ اول
- عضدانلو، حمید، (١٤٠٠)، از استعمار تا گفتمان استعمار، تهران: نی، چاپ اول
- فارسی، بختام، فاطمه شهریاری، (١٣٩٧)، خوانش پسا استعماری رمان لاتنوره الیاح اثر محمدالعالی عرعار مطالعه موردي جنسیت، نقد ادب معاصر عربی، شماره ١٥، صص ١٧٤-١٥١



- کویی نیا، علی، مریم جلیلیان، (۱۴۰۱)، خوانش انتقادی تقابل‌های پسا استعماری در رمان الربيع و الخريف اثر حنا مینه با نگاهی بر شرق‌شناسی ادوارد سعید، ادب عربی، شماره ۳، صص ۶۹-۵۰
- کلیگر، موری، (۱۳۸۸)، درس نامه نظریه ادبی، ترجمه جلال سخنور و الله دهنوی و سعید سبزیان، تهران: اختزان، چاپ اول
- گاندی، لیلا، (۱۳۸۸)، نظریه پسا استعماری، ترجمه مریم عالمزاده و همایون کاکا سلطانی، تهران: پژوهشکده مطالعات فرهنگی و اجتماعی، چاپ اول
- می، آلب، (۱۴۰۰)، چهره استعمارگر چهره استعمار زده، ترجمه هما ناطق، تهران: پرنیان اندیش، چاپ اول

## References

- Asghari, Javad, Simin Gholami (2018), post-colonial elements in the novel Rah Khursheed "Al Tariq Eli Shams", Arabic Literature, Year 10, Number 2, pp. 21-40.
- Azdanlou, Hamid, (2021), from colonialism to colonial discourse, Tehran: Ney, first edition.
- Behari Nooran, Zeiba, (2021), a review of post-colonial literature in the novel "Al-Waqa'i al-Gharbiyya fi Akhtha Saeed Abi al-Nahs al-Mashail" based on Edward Saeed's approach, master's thesis, department of Arabic language and literature, Khwarazmi University, supervisor, Abdullah Hosseini.
- Ezzati, Abolfazl, (1981), New Colonialism, Tehran: Hoda, first edition.
- Farsi, Behnam, Fatemeh Shahriari, (2018), post-colonial reading of the novel Latzurah al-Riyah by Mohammad Al-Ali Arar, a case study of gender, Criticism of Contemporary Arabic Literature, No. 15, pp. 151-174.
- Gandhi, Leila, (2009), Post-Colonial Theory, translated by Maryam Alamzadeh and Homayun Kaka Soltani, Tehran: Research Center for Cultural and Social Studies, first edition.
- Karimina Ali, Maryam Jalilian, (2022), a critical reading of post-colonial confrontations in the novel Al-Rabi and Al-Kharif by Hanamineh with a view on Edward Said's Orientalism, Arabic Literature, No. 3, pp. 50-69.
- Khani, Mohammad Hassan, (2016), Post-Colonialism and World Order, Tehran, Imam Sadiq University, first edition.
- Kligz, Mori, (2009), Textbook of Literary Theory, translated by Jalal Sokhnoor and Elaha Dehnavi and Saeed Sabzian, Tehran: Akhtaran, first edition.
- Marzi, Ali A., The Re-invention of Africa: Edward Said, Mudimbe, and Beyond ,Research in African Literatures: Fall 2005
- Memi, Albert, (2021), The face of the colonizer, The face of the colonized, translated by Homa Natiq, Tehran: Parnian Andish, first edition.





- Rashid, Netileh, (1971), The story of the anti-colonial struggle, Egypt.
- Saeed, Edward, (1998), Orientalism, translated by Abdol Rahim Tashit, Tehran: Islamic Culture Publishing House, second edition.
- Saeed, Edward, (2003), Naqsh Roshanfekr, translated by Hamid Azdanlou, Tehran: Ney, second edition.
- Saeed, Edward, (1998), Al-Thaqafa and Al-Ambrialiyah, translated by Kamal Abu Deeb, Beirut, Dar al-Adab.
- Sadr Hashemi, Seyyed Mohammad, (2016), Society and Culture of Egypt, Tehran, Al-Hadi International Publications, first edition.
- Sardar, Ziauddin, (2007), Orientalism, translated by Mohammad Ali Ghasemi, Tehran: Research Center for Cultural and Social Studies, first edition.
- Sax, William S, The Hall of Mirrors: Orientalism, Anthropology, and the Other, American Anthropologist: Jun 1998.
- Seyyed Qutbi, Seyyed Mehdi, (2007), The Fate of Egypt, translated by Hossein Saadat Nouri, Tehran: Islamic Reserves Assembly, first edition.
- Shahmiri, Azadeh, (2010), Post-Colonial Theory and Criticism, Tehran: Elm, first edition.
- Shirzadi, Reza, (2009), Post-colonial studies criticizing the views of Franz Kanon, Edward Said and Homi Baba, Political Studies, No. 5, pp. 149-174.
- Tavakkoli, Mehran, (2006), Colonialism, Colonialism, Decolonization of the Third World, Tehran, Ni, first edition.
- Taylor, Charles, The Other and Ourselves: is Multi-culturalism Inherently Relativist? ,Project Syndicate and Institute of Human Sciences , July 2002.
- Wood, Michael, EDWARD SAID, Proceedings of the American Philosophical Society, Philadelphia: Mar 2006
- Zubaidah, Hani, (2020), al-Masri al-Yum publication.



نقد پیسا استعماری «حکایه کفاح ضد الاستعمار» براساس رویکرد ادوارد سعید

علي اسودي<sup>١</sup>، عبدالله حسيني<sup>٢</sup>، زهرا اسداللهي<sup>٣</sup>

چکیده

گفتمان پسا استعماری در پی آشکار نمودن سیطره همه جانبه غربیان بر کشورهای آسایی و آفریقایی است و به تبیین چگونگی استعمار غرب و نفوذ آنان در این کشورها می‌پردازد. یکی از شاخص‌ترین نظریه‌پردازان نقد پسا استعماری، ادوارد سعید است که در کتاب شرق‌شناسی به طور مفصل به واکاوی تقابل شرق و غرب و طرز تفکر جوامع غربی در مورد ملل شرقی پرداخته است. بررسی این مسئله از آن جهت دارای اهمیت است که پرده از چهره جعلی ترسیم شده غربیان برای ملل شرقی، بر می‌دارد. نتیله راشد از نویسنده‌گان معاصر مصر با تفکرات سیاسی نزدیک به جمال عبدالناصر است که به روایتگری تاریخ مصر در طول استعمار انگلیس پرداخته و با تفکر انتقادی خویش از پیامدهای استعمار، کتاب «حکایت کفاح ضد الاستعمار» را به رشته تحریر درآورده است. پژوهش حاضر در تلاش است با تکیه بر معیارهای نقد پسا استعماری ادوارد سعید اثر نتیله راشد را بررسی کند. نتایج به دست آمده در این پژوهش حاکی از نقش مؤثر خیانت مسئولان داخلی در شکل‌گیری استعمار و همچنین نگاه ابزاری و فروdestانگاری انگلیس نسبت به مردم مصر است که در پی آن برای مردم مصر هیچ‌گونه درک منطقی و قوای استدلال قائل نبود؛ خیانت مسئولان داخلی مصر استعمار این کشور را به دنبال داشت و مردم آن همواره در وحشت ناشی از استعمار به سر می‌بردند و به اجرای زوطن خود کوچ می‌کردند.

**كلمات كليديّة:** نقد سيا استعماً، أدوا، د سعيد، مص، نتيله، اشد، حكاية كفا، ضد الاستعماً.

<sup>1</sup> دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه خوارزمی، تهران، ایران، ایمیل: Asvadi@knu.ac.ir

۲۳ دانشیار گوه زیان و ادیسات عربی، دانشگاه خوارزمی، تهران، ایران، ایمپا: Dr.abd.hosieni@knu.ac.ir

۳ نویسنده مسئو، داشجویی، کارشناسی ارشد گروه زبان و ادبیات عرب، دانشگاه خوازمی، تهران، ایران، ایمیل: Zahraasadallahi@knu.ac.ir